# رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي

# «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ»

تأليف: دفيد روبر

## * فيلبي ٢: ٥-١١

يحتوي نص ندرسنا هذا على واحد من أكبر التحديات في كتاب العهد الجديد – وواحد من أعظم أقسام العقيدة. والتحدي هو أن يكون لنا فكر المسيح: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا» (فيلبي ٢: ٥).

كان بولس قد ناشد أهل فيلبي أن يتحدوا (٢: ١ و٢). وقد شدد على أن أحد الأشياء الأساسية للوحدة هو أن لا يفكر الشخص بنفسه، بل بالآخرين (الآيتان ٣ و٤).

> اعتبر بولس انه ليس من المناسب أن يكون لجسد المسيح العين الأنانية، والعقل المتفاخر، والأُذن المتعطشة للمديح، والفم الذي لا ينطق بشيء، والقلب الذي لا يتسع كثيراً للآخرين، واليد التي لا تخدم غير النفس[١].

لكي يساعد قُرَّاءه أن يدركوا ما يستلزمه نكران الذات الحقيقي أشار إلى مثال القاطع: يسوع نفسه (الآيات ٥-٨). قال بولس في الواقع: «إن كان لكم قلب مثل قلب الرب ستتوحدون؛ ستتمتعون بسلام ووفاق». ما طالب أهل فيلبي به يطالبنا به أيضاً: ينبغي أن يكون لنا فكر المسيح. يجد البعض صعوبة في أن يتبعوا أثر قدمي يسوع (راجع ١ بطرس ٢: ٢١) لأن ليس لدينا فكر يسوع.

التحدي الكبير في الآية ٥ الرسالة الكبرى في الآيات ٦ إلى ١١. تحتوي هذه الآيات على إحدى أعظم الكلمات التي قيلت على الاطلاق عن يسوع. أسمى جيرالد هاوثورن هذا النص «الجزء الأكثر أهمية في الرسالة» إلى أهل فيلبي، وأعلن أنه «جوهر الكريستولوجى (علم المسيح) لا مثيل له في {كتاب العهد الجديد}»[٢].

يعتقد الكثيرون أن المقطع الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٦-١١ هو ترنيمة قديمة. ويسمى بـ«ترنيمة المسيح». ينقسم هذا النص طبيعياً إلى قسمين: إذلال المسيح (الآيات ٦-٨) وتعظيم المسيح (الآيات ٩-١١). يوضح الجزء الأول ما يعني أن يكون للشخص فكر المسيح؛ ويشير الثاني إلى السبب في أن يكون للشخص مثل هذا الفكر.

أحذروا: ليس هذا النص الوحيد الأكثر أهمية في الرسالة إلى أهل فيلبي فحسب، بل أيضاً الأكثر إثارة للجدل. قال أحد الكُتّاب: «الاختلاف السائد في الأراء بين المفسرين بخصوص معنى هذا النص يكفي لملء

---

[١] فريد بي كرادوك في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي «Philippians» من سلسلة «Interpretation»، صفحة ٣٨.

[٢] جيرالد أف هاوثورن في تفسيره بعنوان «Word Biblical Commentary» المجلد ٤٣، في الرسالة إلى أهل فيلبي «Philippians»، صفحتي ٧٦ و٧٩.

الطالب باليأس ويصيبه بالشلل الفكري»[٣]. يجاهد المفسرون لمعرفة معنى الكلمات اليونانية المترجمة إلى «صورة»، «يَحْسِبْ خُلْسَةً»، «أخلى» إلخ. مع أن هناك خلاف حول معنى هذه الكلمات، إلا أنه ليس هناك خلاف كبير حول معنى رسالة هذا النص: أحبنا يسوع حتى ترك السماء وجاء إلى الأرض ليموت من أجلنا!

بمرورنا على هذه الآيات، سأحاول أن أكون مفهوماً وغير مثير للجدل بقدر المستطاع. ولكني سأقضي المزيد من الوقت على النص اليوناني – قد تضطر إلى القيام ببعض التفكير الجاد. إن كنت لا تريد شد ذهنك، يمكنك أن تنتقل الآن إلى الدرس القادم – ولكني أرجو أن تبقى معنا إلى نهاية هذا الدرس. وإن انتقلت إلى الدرس القادم الآن، سيفوت عليك تعليم هام جداً في الكتاب المقدس عن يسوع.

## الكشف عن فكر المسيح (٢: ٦-٨)

### نكران الذات وإخلاء النفس

تبدأ «ترنيمة المسيح» بالوجود السابق ليسوع في السماء: انه كان موجوداً «فِي صُورَةِ اللهِ» (الآية ٦)، أي أن يسوع كان في السماء مع الله قبل مجيئه إلى الأرض. من النصوص الأخرى التي تتحدث عن وجوده السابق تشمل إنجيل يوحنا ١: ١ و٢؛ ١٧: ٥؛ ٢ كورنثوس ٨: ٩؛ كولوسي ١: ١٥-١٧؛ عبرانيين ١: ٢ و٣. استخدمت كلمتين يونانيتين لـ«صورة» في هذا النص: «مورفي μορφή» (الآيتان ٦ و٧) و«سخيما σχῆμα» (أي «مظهر»؛ الآية ٨). عادة ما كان اليونانيون يستخدمون هاتين الكلمتين بالتبادل، ولكنهما وردتا في هذا النص بالتباين. تشير كلمة «مورفي μορφή» في هذا السياق إلى جوهر الشخص أو الشيء، والذي لا يتغير، بينما تشير كلمة «سخيما σχῆμα إلى المظهر الخارجي الذي يتغير[٤]. كتب ريشارد غافين أن العبارة :صورة الله، تشير إلى جملة مجموعة الصفات التي تجعل الله ... الله»[٥]. تقول ترجمة كتاب الحياة «في هيئة الله»[٦]. أكد بولس علاوة على ذلك أن ليسوع «صفة الله» (ذيل الآية ٦). الصياغة التي وردت في الآية ٦ هي طريقة بولس ليثبت أن يسوع كان بالحقيقة الله!

تأمل في ما تعني الكينونة «صورة الله» أن يكون معادلاً مع الله في السماء. حاول أن تتصور الشرف الذي ناله المسيح، والمجد الذي ناله والعجائب التي تمتع بها. أشار يسوع في صلاته لأبيه الواردة في الأصحاح ١٧ من إنجيل يوحنا إلى مجده بقوله: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (الآية ٥). لا نستطيع إدراك عدم أنانية الرب يسوع حتى نعرف ما تخلى عنه.

مع أن المسيح كان يتمتع ببركات كينونته «فِي صُورَةِ اللهِ»، إلا انه «لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ». إن عبارة «لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً» في اللغة الأصلية هي الاسم اليوناني «هارپاغمون ἁρπαγμὸν» وهو من الفعل «هاپازو ἁρπάζω» ومعناه «يستولى ...؛ أي يأخذ بقوة، يخطف»[٧]. قد تشير كلمة «هارپاغمون ἁρπαγμὸν» إلى «إبقاء الشيء بإمساك متلهف». أني أعتقد أن معنى هذا النص هو أن يسوع لم يقبض بإحكام على مكانة إكرامه السماوي. يقول جي بي لايتفوت: «هذا هو التفسير الشائع والجامع للأباء اليونانيون الذين يكون لهم معنى أكثر حيوية لمتطلبات اللغه اليونانية»[٨].

لقد استخدم المبشرون المثال التوضيحي عن «رمي العظم لكلب جائع». يتلقط الكلب بذلك العظم بكل قواه. وإن حاولت أخذ هذا العظم بكل الوسائل ، إلا انه لا يتخلي عنه أبداً. لماذا؟ لانه يخاف انه أن أفلت منه العظم فلن يراه مرة أخري! اما يسوع فلم يكن كذلك.

---

[٣] أبي بروس في كتابه بعنوان «The Humiliation of Christ»، صفحة ١١.

[٤] من إحدى المصادر لهذه الكلمتين هو تفسير وليم هندريكسن بعنوان «New Testament Commentary: Exposition of Philippians»، صفحة ١٠٤.

[٥] ريشار بي غافين الأصغر في مذكراته عن الرسالة إلى أهل فيلبي «The NIV Study Bible»، تحرير كنث پاركر، صفحة ١٨٠٥.

[٦] الكتاب المقدس – ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[٧] من معجم «The Analytical Greek Lexicon»، صفحة ٥٢.

[٨] جي بي لايتفوت في كتابه بعنوان «The Epistle of St. Paul III: The First Roman Captivity 1: Epistle to the Philippians»، صفحتي ١٣٤ و١٣٥.

فبدلاً من أن «يتمسك» المسيح بمكانته السماوية، كان مستعد أن «يتركه» لكي يأتي إلى هذه الأرض ليموت من أجلنا. لقد اكتسب شكل مختلف من هذه الفكرة شعبية في الأيام الأخيرة: «لم يعتبر يسوع أن المساواة مع الله شيء يتمسك به من أجل منفعته الخاصة». عندما نقرأ عن عدم أنانية الرب، علينا أن نعطي تطبيق شخصي. أسأل نفسك: «هل يوجد شيء أتمسك به، أمسكه بإحكام يجب أن اتركه لكي أخدم الله والإنسان بطريقة أفضل؟»

«لكِنَّهُ ...»، بدلاً من أن يتمسك يسوع بمكانته السماوية، «أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ» (الآية ٧). لقد فتنت العبارة «أَخْلَى نَفْسَهُ» علماء الكتاب المقدس. هناك جدل حول السؤال: «عن ماذا أخلى نفسه؟». الكلمة اليونانية التي تُرجمت هنا إلى أخلى («كنوس κενός») أدت إلى ما يسمى بنظرية «كنوتيك» التجسدية، والتي تعلم أنه عندما جاء يسوع إلى العالم «أخلى نفسه» من لاهوته الأساسي (جميع أو معظم صفاته الإلهية). وهذا الموقف يزيد إلى العبارة «أَخْلَى نَفْسَهُ» شيء غير موجود فيها، ويعارض النصوص الواضحة في أماكن أخرى من الكتاب المقدس والتي تعلم أنه ظل إلاهاً عندما كان على هذه الأرض.

قال يوحنا أن الله «صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يوحنا ١: ١، ١٤). قال الملاك ليوسف أن يسوع سيُدعى «عِمَّانُوئِيلَ، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللهُ مَعَنَا» (متى ١: ٢٣). أسمى توما المسيح «ربي وإلهي» (يوحنا ٢٠: ٢٨). تعلن عقيدة التجسد أن يسوع كان إنساناً كاملاً وإلاهاً كاملاً. عندما أتى يسوع إلى هذا العالم، لم يتخلى عن ألوهيته بقدر ما أخذ الإنسانية. قدم بول ريس المثال التوضيحي التالي:

> قبل عدة سنين عندما كان دوق وندسور أمير ويلز، ترك في أحد الأيام قصر باكنغهام، وسافر غرباً إلى بلدة تعدين الفحم، ووضع على رأسه قبعة التعدين ونزل إلى الأنفاق الحقيرة ليرى بنفسه الظروف التي يعمل فيها الناس في ذلك الفرع الصعب والخطير للصناعة البريطانية. كان بصفته كعضو في الأسرة المالكة أميراً في نفق تعدين الفحم بقدر ما كان عند إقامته بالقصر في لندن. في حين أن المساواة الأساسية مع الأسرة الملكية بقت دون تغيير، إلا انه لم تعد هناك مساواة في ما اختبره. لقد وافق أن يختبر شيء لم يختبره في ظل الكياسة والحصانات التي للقصر[٩].

لنعود إلى السؤال: «عن ماذا أخلى نفسه؟». هناك الكثير من التخمينات. يقول البعض انه أخلى نفسه عن مكانته المرموقة في السماء، أي بانه وضع امتيازاته جانباً.يقول جي بي لايتفوت انه أخلى نفسه من الأمجاد، وصلاحيات «الألوهية»[١٠]. ولكن بما أن هذا النص لا يحدد بالضبط الصفات التي أخلى يسوع نفسه منها، لا نحصل على الكثير با لتخمينات. ربما من الأفضل أن نأخذ الجزء الأخير من الآية ٧ كتوضيح للجزء الأول من هذه الآية نفسها: أي انه «أخلى نفسه» إذ أخذ «صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ».

## خدمة وتعاطف

الكلمة المترجمة إلى «صورة» في الآية ٧ هي نفسها المستخدمة في الآية ٦. كان ليسوع في السماء جميع صفات الله. وعندما جاء إلى الأرض أخذ على نفسه جميع صفات العبد. لم يكن يسوع قد ولد في مرتبة العبيد في أيامه، ولكنه جعل نفسه عبداً في انه أصبح يعتمد اعتماداً كلياً على الله ومطيعاً له. ونتيجة لذلك، أصبح المسيح أيضاً عبداً لحاجات البشر – وخاصة الحاجة إلى الخلاص. هناك الكثير من النصوص التي تتحدث عن المسيح كعبد (راجع متى ٢٠: ٢٨؛ مرقس ١٠: ٤٥؛ لوقا ٢٢: ٢٧)؛ هناك مثال ممتاز ليسوع كعبد وهو عندما غسل أرجل التلاميذ (يوحنا ١٣: ٥). التباين قوي: لقد تنازل يسوع عن المساواة مع الله (أعلى مكانة يمكن تصورها) إلى عبد (أدنى مستوى يمكن تصوره). هذا يذكرنا بكلام بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ٨: ٩: «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ

---

[٩] پول ريس في تفسيره بعنوان «The Epistle to the Colossians, Philippians and Philemon»، صفحة ٤٤.

[١٠] جي بي لايتفوت في كتابه بعنوان «The First Roman Captivity 1: Epistle to the Philippians The Epistle of St. Paul III:»، صفحة ٤٥.

تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ».

بدأ نزول المسيح عندما صار «في شبه الناس» (فيلبي ٢: ٧). حاول البعض استخدام كلمة «شبه» الواردة هنا قبل نهاية القرن الأول الميلادي ليعلموا أن يسوع كان «يشبه» الناس، ولكنه لم يكن إنساناً – أي بعبارة أخرى، انه لم يكن إنساناً أبداً. كان يوحنا يكافح مثل ذلك الفكر الخاطيء عندما قال أن يسوع «صار جسداً» (يوحنا ١: ١٤)، وعندما كتب قائلاً: «بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ الله: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ» (١ يوحنا ٤: ٢) هناك الكثير من النصوص التي تضع التوكيد على أن إنسانية يسوع لم تكن وهمية، بل حقيقة. على سبيل المثال، قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه «أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (عبرانيين ٢: ١٧). كلمة «يشبه» في عبرانيين ٢: ١٧ مترجمة من أصل الكلمة اليونانية نفسها المترجمة إلى «شبه» في فيلبي ٢: ٧.

لا نعلم يقيناً لماذا استخدم بولس كلمة «شبه» في فيلبي ٢: ٧. يظن البعض أن التوكيد هنا هو على أن يسوع كان بطريقة ما «يشبه» الناس الآخرين لأنه كان إنساناً كاملاً، ولكنه بطريقة أخرى «لم يشبهم» لأنه كان أيضاً إلهاً كاملاً. في ما يلي تعبير مشابه لهذا: لاحظ أن الكلمة المترجمة هنا إلى «صَائِرًا» في الآية ٧ (اليونانية «غينوماي γίνομαι») قد تعني «مولوداً»[١١]. ربما تشير عبارة «صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ» إلى دخول يسوع إلى هذا العالم: وُلد كولادة جميع البشر.

اختلاف يسوع عن الإنسان ليس موضع التشديد في الآية ٧، بل وجه التشابه. كان باستطاعة المسيح أن يأتي «في شبه» ملاك، وكان البشر سيتعجبون. وكان باستطاعته أن يأتي «في شبه» الله، وكان الناس سيعبدونه. ولكن كان عليه أن يأتي «في شبه» الناس (راجع رومية ٨: ٣). بما أن يسوع صار مثلنا، يمكنه أن يتعاطف معنا ويعيننا (راجع عبرانيين ٢: ١٧، ١٨؛ ٤: ١٥ و١٦). والشيء الأهم هو انه كان باستطاعته أن يموت لأجلنا (١ كورنثوس ١٥: ٣).

لماذا كان على يسوع أن يصير جسداً قبل أن يموت عوضاً عنا؟ قدم أحد الكُتَّاب مثالاً توضيحياً عن إنسان كان عليه أن ينزل في الطين لكي يسحب شخص آخر من المستنقع، أو الإنسان الذي ينبغي له أن ينزل في الماء قبل أن يخلص شخص آخر من الغرق[١٢]. ولكن أي مثال عن ذلك يكون قليلاً. لا نستطيع أن نفهم فهماً كاملاً لماذا كان ضرورياً ليسوع أن يأتي «في شبه الناس»؛ ولكن هذا ما يعلمنا به الكتاب المقدس، ونقبله بالإيمان.

يستمر وصف هوية المسيح مع البشر في الآية ٨. تبدأ هذه الآية هكذا: «وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ ...». الكلمة اليونانية («سخيما σχῆμα») المترجمة هنا إلى «هيئة» هي الكلمة اليونانية الثانية في نص درسنا هذا التي تعني «صورة». كما قلنا سابقاً، تشير هذه الكلمة إلى «المظهر الخارجي الذي قد يتغير». ولكن طبيعة يسوع الجوهرية («مورفي μορφή») لا تتغير أبداً، ولكنه نمى من الطفولة إلى الرجولة، وتغيرت هيئته/مظهره («سخيما σχῆμα»). نُذْكَر بحياة المسيح وخدمته عندما سار بين الناس كإنسان – عندما قبل الآلام والأحزان كونه بشراً (راجع إشعياء ٥٣: ٣).

اني أقف للحظة لأتأمل مرة أخرى في ما تخلى عنه يسوع لكي يأتي إلى هذه الأرض. أحاول أن أتصور بعض التشابه: ماذا قد يعني للاعب دولي أن يفقد القدرة على استخدام رجليه؟ وماذا قد يعني للرسام أن يفقد القدرة على استخدام عينيه؟ وماذا قد يعني لأي منا أن نكون مشلولين ولا نستطيع استخدام أيادينا أو أرجلنا؟ في الوقت الذي أطرح فيه هذه الأسئلة أعرف أن أي مقارنة تكون قاصرة. لا استطيع أن استوعب ماذا يعني أن يستمتع الشخص بأمجاد السماء، ومن ثم يجد نفسه فجأة في الجسد البشري الضعيف والذي يفسد. بل أشكر الله انه قدم مثل هذه التضحية من أجلي!

هناك ترنيمة إنجليزية تقول:

---

[١١] وليم أف أرندت و أف ويلبور قينغريج في معجم «A Greek-English Lexicon of the New Testament and Other Early Christian Literature»، صفحة ١٥٧.

[١٢] مانفورد جورج كوتزكي في كتابه بعنوان «Plain Talk on Philippians»، صفحة ٨٩.

لماذا جاء مخلصي إلى الأرض،
واتضع؟
لماذا اختار ولادة متواضعة؟

لأنه هكذا أحبني!
لماذا شرب من كأس المرارة
والالم والويل؟
لماذا رُفِعَ على الصليب؟
لأنه هكذا يحبني![١٣]

## له الخضوع والتضحية

«وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ ...» لم يكن ذلك نهاية رحلة المسيح نحو وضع أدنى. كان عليه أيضاً أن يذهب إلى الصليب. «وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٨).

لم يكن على يسوع أن يموت. لقد غادر آخرون هذه الأرض دون أن يموتوا. مثل أخنوخ (تكوين ٥: ٢٤؛ عبرانيين ١١: ٥) وإيليا (٢ ملوك ٢: ١١)، وكان باستطاعة يسوع أن يفعل ذلك (راجع يوحنا ١٠: ١٨). ولكن إن كنا (أنا وأنت) سنحصل على رجاء الحياة الأبدية (١ كورنثوس ١٥: ٣)، كان عليه أن يموت. لهذا استطاع أن يتضع بنفسه «حتى الموت»، وليس أي موت فحسب، بل أحقر موت يمكن للبشرية اختراعها. تم استدان الموت بالصلب من الفينيقيين والفُرْس وأتقنه الرومان. كان ذلك أداة العار بالنسبة لليهود (تثنية ٢١: ٢٣؛ غلاطية ٣: ١٣) وجهالة مخزية بالنسبة للأمم (١ كورنثوس ١: ٢٣). «كانت كلمة "صليب" في المجتمع الروماني المهذب بذاءة لا ينبغي النطق بها أثناء الحديث»[١٤]. «كان الصليب الحد الأقصى لانحطاط البشرية»[١٥]. «أسفل درجة في سلم نازل من عرش الله»[١٦].

ما الذي جعل يسوع يقبل أن يقاسي مثل هذا الموت المهين والمؤلم؟ لقد قلنا في ما سبق انه فعل ذلك لأنه يحبنا (غلاطية ٢: ٢٠). يضيف النص الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٨ سبباً آخر: الخضوع لإرادة الله. «وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ». قال يسوع خلال خدمته الشخصية «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٦: ٣٨). جاهد في بستان جثسيماني بما كان يواجهه، ولكنه أنهى صلاته بالعبارة التالية: «... وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لوقا ٢٢: ٤٢). وفي آخر المطاف «أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٨). وبخضوع يسوع إلى الله، قدم أعظم تضحية على الاطلاق لأجلنا.

لماذا وضع بولس التوكيد على أن يسوع لم يكن أنانياً وأخلى نفسه وخادم ومتعاطفاً وخاضعاً ومضحياً؟ هل لكي نقدر محبة المسيح لنا واهتمامه بنا فحسب؟ ينبغي أن تترك فينا هذه الرسالة هذا الانطباع – ولكن لم يكن هدف بولس هو تعليم اللاهوت؛ بل ليغير حياة الناس. أراد أن يعرف أهل فيلبي أنه لكي يكون لهم الانسجام والسلام والوحدة عليهم أن يكونوا مثل يسوع. دعاهم لأن يسلكوا في الطريق الذي قد سلكه المسيح نفسه. أراد الروح القدس لنا أن نعرف أننا أيضاً ينبغي أن يكون لنا فكر المسيح. ما طلبه الرب من هؤلاء التلاميذ هو مطلب جامع:

> «... مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (مرقس ١٠: ٤٣-٤٥).

---

[١٣] جاي جي دايلي في ترنيمة إنجليزية بعنوان «Why Did My Savior Come to Earth?» من كتاب الترانيم «Songs of Faith and Praise».

[١٤] أف أف بروس في تفسيره بعنوان «Philippians» من سلسلة «Good News Commentaries»، صفحة ٤٧.

[١٥] جيرالد أف هاوثورن في تفسيره بعنوان «Word Biblical Commentary» المجلد ٤٣، في الرسالة إلى أهل فيلبي «Philippians»، صفحة ٩٠.

[١٦] أرشيبالد توماس روبرتسون في كتابه بعنوان «Word Pictures in the New Testament» المجلد ٤ من سلسلة «The Epistles of Paul»، صفحة ٤٤٥.

قال يسوع أيضاً، «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (متى ١٦: ٢٤). ولكن للأسف يريد الكثيرون منا الإكليل دون الصليب – أو كما قال أحد الكُتّاب: نريد البركات بدون الآلام[١٧]. ما أصعب أن نتخلى عن الأنانية!

إحدى الترانيم الأكثر تحدياً التي أعرفها هي ترنيمة إنجليزية بعنوان {أي «لا شيء من النفس والكل منك»}:

يا للألم والحزن المريران
اللذين قد يكونان أحياناً
عندما قلتُ ليسوع بفخر
«كل ما لنفسي وليس ما لك».

يقول المقطع الثاني «بعض ما لنفسي وبعض ما لك»، بينما يقول المقطع الثالث «أقل ما لنفسي والمزيد مما هو لك». وأخيراً يقول البيت الأخير:

أعلى من أعالى السماوات
وأعمق من عمق البحار
يا رب، قدمت محبتك أخيراً،
ليس بعد ما للنفس، بل كل ما لك»[١٨].

يجب أن تشجعنا هذه الترنيمة على فحص قلوبنا: أين نحن في الطريق نحو نكران الذات؟ أني أحتاج إلى عون الله لكي أجعل فكر المسيح فكري. ربما تحتاج أنت أيضاً إلى ذلك.

## مكافأة فكر المسيح (٢: ٩-١١)

### تمجيد

ننتقل من الكشف عن فكر المسيح إلى مكافأة فكر المسيح. تبدأ الآية ٩ هكذا: «لِذلكَ {أي لأن يسوع اتضع} رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا ...». لم يرفع {أي يمجد} يسوع نفسه؛ لا يرفع العبد نفسه إلا إذا رفعه شخص آخر. كلمة «رَفَّعَهُ» في هذه الآية مترجمة من كلمة يونانية مركبة («هوپروپسوسن ὑπερύψωσεν»، من «هوپروسوو ὑπερυψόω») والتي تجمع حرف الجر معناه «على» أو «فوق» («هوپر ὑπέρ») بكلمة معناه «مَجَد» («هوپسوو ὑψόω»). نظير الكلمة «هايبر» هي «سوپر super» في اللاتينية. لقد مجد الله يسوع أسمى التمجيد. تقول ترجمة كتاب الحياة هنا أن الله رفع يسوع «عالياً»[١٩]. لقد تم إعادته إلى المستوى السامي الذي كان يتمتع به قبل أن يترك السماء ليأتي إلى الأرض. لقد جاء إذلاله بمراحل – ولكنه رُفِعَ بعمل واحد عظيم! رفع المسيح يشمل قيامته وصعوده إلى السماء وتمجيده – ولكن التوكيد الموضوع في هذا النص هو على تمجيده عن يمين الله. «ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (مرقس ١٦: ١٩).

«... وَأَعْطَاهُ {الله} اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْم» (الآية ٩). لا أعرف يقيناً ما هو الاسم الذي أعطاه الله ليسوع. يقول البعض أن هذا الاسم يعرفه الله وحده في الوقت الحاضر. يحتمل أن يكون هذا صحيح، ولكن بما أن بولس أراد بوضوح أن يرفع/يمجد المسيح في عقول الذين كتب إليهم، يبدو أن مثل هذه الخلاصة غير عملية لقصد بولس. قد تقودنا الآية التالية إلى الاعتقاد بان هذا الاسم هو اسم «يسوع» (الآية ١٠). يظن الكثير من المفسرين أن الكلمة «اسم» هنا مستخدمة بمفهوم «اللقب» {لقب منصبي} ويقولون أن هذا المنصب هو «رب» (الآية ١١)[٢٠]. وآخرون يفضلون اللقب الكامل «الرب يسوع المسيح» الوارد في الآية ١١. {وردت

---

[١٧] جي أتش جويت، وقد ورد إقتباسه هذا في تفسير وارن ويرسبي بعنوان «The Bible Exposition Commentary» المجلد ٢، صفحة ٧٥.

[١٨] ثيودور مونود في ترنيمة إنجليزية بعنوان «None of Self and All of Thee»، من كتاب «Songs of Faith and Praise».

[١٩] راجع الكتاب المقدس – ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[٢٠] أف أف بروس في تفسيره بعنوان «Philippians» من سلسلة «Good News Commentaries»، صفحتي ٤٨ و٥٠؛ و أرشيبالد توماس روبرتسون في كتابه بعنوان «Word Pictures in the New Testament» المجلد ٤ من سلسلة «The Epistles of Paul»، صفحة ٤٤٦؛ وآي جين لوه ويوجين أ نيدا في تفسيرهما بعنوان «A Translator's Handbook on Paul's Letter to the Philippians»، صفحة ٦٣.

في ترجمة فانديك – الترجمة العربية المألوفة للكتاب المقدس العبارة «يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ» في الآية ١١}. ولكن في اللغة اليونانية لم ترد الكلمة «هو» بين يسوع المسيح و«رب»؛ بل وردت في اللغة الأصلية عبارة «يسوع المسيح رب». ليس من الضروري لنا أن نحدد هذا الاسم؛ بل علينا أن نعرف فقط أن ذلك «اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْم» (الآية ٩). تذلل يسوع على الأرض ولكنه في السماء رُفِع/مُجِد. كان أدنى الخدام على الأرض، ولكن في السماء له اسماً فوق كل اسم!

بما أن الله قد رفع/مجد يسوع، ينبغي أن تهتف به كل الخليقة: «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ ...» (الآيتان ١٠ و١١). العبارة «تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ» معناها أن الجميع سيعبدونه (راجع أفسس ٣: ١٤). والاعتراف بيسوع رباً هو الاعتراف به علناً وصريحاً أنه المالك على الكل. قد تعني العبارة «وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ» إلى «الموتى» (راجع رومية ١٤: ٩). المجموعات الثلاث المذكور («مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ»، «وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ»، «وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ») هي طريقة مدهشة للقول أنه بما أن ربانية يسوع هي «على المستوى الكوني والعالمي»[٢١]، ينبغي للكل أينما وُجدوا أن يعترفوا به. اليوم لا يقبل الكثير من الناس أن يفعلوا هذا، ولكن «في آخر المطاف، سيعترف به الجميع بانه رب ... سواء أرادوا ذلك أو لا»[٢٢].

ينتهي هذا النص بالقول أن هذا كله سيكون «لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (ذيل الآية ١١). مجد الله هو دائماً الهدف والقصد الأخير لجميع الأشياء»[٢٣]. سيكون ذلك لمجد الله لأنه عندما يتمجد المسيح، يتمجد الله أيضاً. علاوة على ذلك، يتمجد الله لأن يسوع أظهر بمثال إلهي أن طبيعة الله الحقيقية ليست الأخذ، بل العطاء.

## تشجيع

ما هو الدرس أو ما هي الدروس التي كان على أهل فيلبي أن يتعلموها من الآيات ٩ إلى ١١؟ كان يجب أن تكون حقيقة أن يسوع رب سبب قوي لهم لكي يتبعوا مثاله. اعتقد أيضاً أن هناك دافع آخر متضمن في هذه الآيات، وهو: «الأخير الآن، والأول في ما بعد!»[٢٤] يعترض البعض على مثل هذه الخلاصة إذ يشجبون عدم عمق مثل هذا الدافع. ولكن كثيراً ما وردت فكرة المكافأة في الأسفار المقدسة (راجع متى ٢٥: ٢١)، جنباً إلى جنب مع الوعد المحدد بان التمجيد سيتبع الإذلال (متى ٢٣: ١٢؛ لوقا ١٤: ١١؛ ١٨: ١٤؛ ١ بطرس ٥: ٦).

عند مرورنا بالحياة، وعندما تواجهنا مشاكل، وعندما نصنع قرارات، يرد الرب لنا دائماً أن نضع في الاعتبار عامل الأبدية. هذه الحياة {التي نحياها على هذه الأرض} قصيرة وغير مؤكدة (أيوب ١٤: ١؛ يعقوب ٤: ١٤). عند صراعنا مع الخيارات، يجب أن نسأل أنفسنا: «ماذا تكون العواقب في الأبدية؟»

لماذا ينبغي لنا (أنا وأنت) أن نعمل كل ما بوسعنا ليكون لنا «الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ»؟ ينبغي أن نعمل هذا لكي نطيع ربنا، ولكي نكون كل ما ينبغي أن نكون كمسيحيين، ولندعم السلام والانسجام في جسد المسيح. وفي الوقت نفسه، ما أجمل أن نعرف أننا إذا تواضعنا بأنفسنا، سنُرْفَع في يومٍ ما!

## الخلاصة

قد يكون للنص الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٥-١١ تأثير قوي على حياتنا – إن سمحنا بذلك. لقد قارن شخص ما هذه الآيات بأشعة الشمس القوية[٢٥]. قد تبارك الشمس حياتنا، أو قد نختبيء منها في مكان مغلق ومظلم. ستظل الشمس موجودة، ولكننا سنختبر الظلام والبرد. أصلي من أجل انك لن تنسى الحقائق العجيبة الواردة في الرسالة إلى أهل فيلبي ٢: ٥-١١، بل أن تقبلها. فانها قد تغير حياتك.

---

[٢١] آي جين لوه ويوجين أ نيدا في تفسيرهما بعنوان «A Translator's Handbook on Paul's Letter to the Philippians»، صفحة ٦٢.

[٢٢] ريشار بي غافين الأصغر في مذكراته عن الرسالة إلى أهل فيلبي «The NIV Study Bible»، تحرير كنث باركر، صفحة ١٨٠٥.

[٢٣] وليم هندريكسن في تفسيره بعنوان «New Testament Commentary: Exposition of Philippians»، صفحة ١١٨.

[٢٤] فريد بي كرادوك في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي «Philippians» من سلسلة «Interpretation»، صفحة ٤٢.

[٢٥] مانفورد جورج كوتزكي في كتابه بعنوان «Plain Talk on Philippians»، صفحة ٩٦.

## مذكرات

عندما تستخدم هذا الدرس، يمكنك أن تدعو الناس ليطيعوا المسيح. قد تقول شيء مثل هذا: «ستجثو كل ركبة أمام يسوع في يوم ما وسيعترف كل لسان أن يسوع هو رب لمجد الله الآب» (فيلبي ٢: ١٠ و١١). هل اعترفت به رباً وسيداً لك (رومية ١٠: ٩ و١٠)؟ هل خضعت لربانيته بالمعمودية باسمه (أعمال ٢: ٣٨)؟ الذين لا يعترفون به في هذه الحياة سيعترفون به في الأخرة، ولكن حينئذٍ يكون الوقت قد فات عليهم. إذا تأَمَلْتَ في هذا الدرس بامعان، لا شك انك تريد أن تسلم حياتك لمن تخلى عن السماء وجاء إلى الأرض ليموت من أجلك – أو ستفعل هذا يائساً في ما بعد. الخيار خيارك!»

قد تشمل أيضاً الذين كانوا قد اعترفوا بيسوع ذات مرة رباً واعتمدوا، ولكنهم لم يعيشوا حياة تنسجم مع الاعتراف الذي أدلوا به. ناشدهم أن يتجددوا (غلاطية ٦: ١؛ أعمال ٨: ٢٢؛ ١ يوحنا ١: ٩).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠